



الأربعاء 5 مارس 2014 12:03 م

### أحمد الحارون

البونُّ شاسعٌ بين التربية وبين التعليم، فهدفُ التعليم هو إيصالُ المعلومة إلى المتلقي واستيعابه وفهمه لها دون النظر إلى تطبيقه أو عدم تطبيقه لمقتضاها، أما هدفُ التربية فهو إيصالُ المعلومة مع الممارسة المستمرة لمقتضاها وما تدل عليه في الواقع العملي حتى تنشئ في ذات المتلقي أثراً دائماً ينتج عنه تغيُّر في سلوكه. فلا تكفي المعرفة النظرية بالقيم والأخلاق لكي تصيِّح واقعاً وسلوكاً في حياة المسلم كونها بيت ومستهدف التربية وبمارستها واقعا وتطبيقاً، ومن هنا يأتي دور المدرسة وأهميتها في حياة المسلم كونها بيت ومستهدف التربية المعرفية والخلقية، وهي محل التقويم والتقييم وتعديل السلوك وتوفير القدوة، وأهم حلقات منظومة الحياة... المعلمُ والعالمُ والقاضي . وشئُ الناس هم العلماء والمعلمين ما لم تكن أخلاقهم وسلوكهم دروساً حية للفضيلة والصدق وقول الحق في كل موطن. وقوة العالم أن يعمل وجوده فيمن حوله أكثر مما يفعل هو نفسه، كما أن الأمراض المعدية تعمل فيمن لامسها أو اقترب منها، فالعالم القوي المتصل بالله حين يقف في وجه الظلم تنتشر قوته بالعدوي فيمن حوله ... ففعل العالم الفاضل في الناس أقوى من قراءة ألف كتاب في الفضيلة، كما أن سلوك المرأة العفيفة أمام مرمي العين والبصر يكفي ويزيد عن قراءة الكثير من كتب العفة. وسيظل التاريخ يذكر ويسجل مواقف رائعة لعلماء دارت الأرض حولهم إجلالاً وتعظيماً لصنيعهم، فهذا ابن حنبل لا يترخص رغم كبر سنة وشدة العذاب عليه في محنة خلق القرآن، ورفع الله في أعين العلماء من مشايخه فضلاً عن تلاميذه ، ووهبه الله من كل باب من الفضائل فله في كل نصيبٍ .. في الزهد إمام يُشهد له، وفي الورع يقارن بكبار الأمة، وفي الجرح معتدل، وفي الفروع فقيه. وهذا سعيد بن جبير كان وعاءً من أوعية العلم، فعن خصيف قال: كان أعلمهم بالقرآن مجاهد وأعلمهم بالحج عطاء وأعلمهم بالحلال والحرام طاووس وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير، ويقول ميمون بن مهران: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض رجل إلا يحتاج إلى سعيد، ولو لم يكن من تاريخ سعيد بن جبير إلا مشهد موته وحواره مع الحجاج لكفانا وزاد وفاض ... لتتعلم منه كيف يكون العالمُ متصلاً بربه واثقاً في نصرته غير مكترثٍ بحاكم ظالم مهما بطش وتجر، وحين أدخله جنود الحجاج على الحجاج سأله فقال: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. قال: بل أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك، قال: شقيت أنت وشقيت أمك، قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلنك بالدنيا نار تطفى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا. قال: فما قولك في محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: نبي الرحمة إمام الهدى. قال: فما قولك في علي في الجنة هو أم في النار؟ قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أَرْضَاهُمْ لخالقي. قال: فأيهم أَرْضَى لخالق؟ قال: علم ذلك عنده. قال: أبيت أن تصدقني. قال: إني لم أحب أن أكذبك. قال: فما بالك لم تضحك. قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار؟ قال: فما بالنار نضحك؟ قال: لم تستو القلوب. قال: ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وجمعه بن يدي سعيد. فقال: إن كنت جمعته لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما

أرضعت، ولا خير في شيء جُمع للدينا إلا ما طاب وزكا. ثم دعا الحجاج بالعود والناي فلما صُرب بالعود وُفخ في الناي بكى. فقال الحجاج ما يبكيك هو الله؟ قال: بل هو الحزن أما النفخ فذكرني يوم نفخ الصور، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق، وأما الأوتار فأمعاء شاة يبعث بها معك يوم القيامة. فقال الحجاج: وبلك يا سعيد. قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. قال: اختر أي قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج فوالله ما تقتلني قتله إلا قتلتك مثلها في الآخرة؟ قال: فتريد أن أعفوا عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر؟ قال: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده. فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله، وحلمه عنك، فأمر بالنطع فبسط فقال: اقتلوه. فقال: "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض". قال: شدوا به لغير القبلة. قال: " فأينما تولوا فثم وجه الله". قال: "منها خلقناكم وفيها نعيدكم". قال: اذبحوه. قال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة، ثم دعا الله سعيد وقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فذبح على النطع... فما مكث بعده سوى أربعين يوماً حتى قصمه الله عز وجل. وما أمر العز بن عبد السلام منا ببعيد، فلا يُذكر العز بن عبد السلام إلا وتُذكر الهيبة التي يهبها الله للعاملين المخلصين من عباده، لا يُذكر العز (رحمه الله) إلا وتُذكر معه الجرأة على كل مخالف لشرع الله، مهما علا مكانه، وارتفعت بين الناس مكانته. ولما ذهب الشيخ أبو الحسن بنان الحمال إلى ابن طولون يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وقد اشتد بطشه، أمر ابن طولون أن يُلقى الشيخ للأسد، أسد أغلظ ما يكون في قفص يفتح من أعلى ويوضع له الشيخ، فما لان الشيخ ولا انتكس ولا شارك في انقلاب ولا فوض في قتل ولا أخذ بالرخصة، ولا هادن السلطان الجائر، — يا برهامي سموك ياسر تيمناً ولم تأخذ من سيرة ياسر شيئاً، يا برهامي خاف الشيخ من الله فأخاف الله منه الأسد، يا برهامي حين وقف الشيخ في وجه السلطان الظالم نسي الدنيا الفانية فرآه الأسد الجائع كهالة من نور وليس رجلاً من لحم وعظم، يا برهامي لما انصرف الأسد عن الرجل ونام بجوار الشيخ الواقف سأله ابن طولون: ما الذي كان في قلبك وفيم كنت تفكر وأنت داخل القفص مع الأسد؟ أجابه الشيخ: لم يكن عليّ بأس، وإنما كنت أفكر في لعاب الأسد أهو طاهر أم نجس؟ يا برهامي تحل التصويت على دستور لقيط وتروج له وتدعي أنه كأكل الميتة، يا برهامي تتنكر من دستور الاستبضاع وأنت أحد آباءه وأولى بك أن تتبرأ وتتوب من سوء فعالك، فأنت لا تمثل إلا نفسك، ومن حولك لا يزيدون على أصابع اليد الواحدة، واسأل عنهم أمن دولتك، يا برهامي أنت وثلثك القليلة أسأت إلى السلفية في أيام أضعاف ما أحسن إليها غيرك في عقود، يا برهامي: لو قلت كلمة حق الآن وأظنك لن تقول فلن يرميك الانقلاب في قفص مع الأسد، ربما يلقيك وعلى أقصى تقدير خلف زنزارة مع رجال نحسب أقلهم أفضل عند الله منك ولا نزكيهم على الله، بل الله يزكي من يشاء، أما الطيب وجمعة وكريمة ومن دار في فلکهم فلا نعيب على ذبابٍ أثر اليرك على الماء العذب، وفضل الثيَّة عن دخول الباب، ولا نقول إلا: لعل الله يخرج من أصلابهم..... لذا فلا يستحقون الكلام، رد الله أبعدا عن الصواب للصواب... اللهم آمين.